(خيار الناس وشرارهم)

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَهْدِيهِ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ إلَيْه ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أنْفُسِنا ومِنْ سَيِّئاتِ أعْمالِنا ، مَن يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فلاَ هَادِيَ لَهُ ، ونَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ القائل : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله القائل يَقُولُ رَبُّنَا :

(وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ أَوْ فِي آجِلِهِ ، وَلأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا يُظْلَمُ فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ لَهُ)

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ، وبعد فيقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) .

عباد الله : لقد تحدثنا فى اللقاء السابق عن قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ) وقلنا : يوجد فرق بين القائمٌ وبين القوَّامٌ ، فالقائم قد يكون متهاونا أو متراخيا ، أما القوَّام فهو الذى يبالغ في تحري الحق ، هو الذى لا يمنعه اختلافه مع غيره من قول الحق كما يقول تعالى : (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) هو الذى يقول الحق ولو على نفسه كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) وذكرنا قول الأحنف ابن قيس لابنه : يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه فإن أنصفك وإلا فاحذره وقلنا : إن الأموال والأحساب ليس لها وزن عند الله لأنها موازين دنيا لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ) .

• وذكرنا بعض الأمثلة من صفات الأخيار كإطعام الطعام... فإطعام الطعام من أحب الأعمال إلى الله تعالى ولم لا ؟ فمن صفات الأبرار أنهم يطعمون الطعام الطيب لِوَجْهِ اللَّهِ قال تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) فمن أراد الجنة فلينفق الكسب الطيب قال تعالى : (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) ولقد رغب الله في إنفاق الكسب الطيب وحذر من الكسب الخبيث فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)

• وإذا كانت عقبات الطريق تحتاج إلى معدات لاقتحامها فعقبات الآخرة فى حاجة إلى معدات أقوى! من هذه المعدات : إطعام الطعام لليتامى الأقربين وللمساكين قال تعالى :

(فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ)

• فعدم إخراج الزكاة حرمان لليتامى وللمساكين! ومن كان هذا شأنه فالنار مثواه قال تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنْ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) كذلك من أسباب دخول النار عدم حض الناس على إخراج الزكاة وهو إطعام المساكين قال تعالى : (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ...) ويقول : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) فإذا كان عدم حض الناس على إخراج الزكاة سببا لدخول النار! فماذا لو كان يمنع غيره من إخراج الزكاة ؟ لاشك أنها مصيبة عظمى!!! .

• فعدم إخراج الزكاة حرمان للفقراء وهذا ظلم لهم يقول رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه : (يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، فَيَقُولُ : كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِين ؟ فَيَقُولُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا اسْتَطْعَمَكَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟) ولقد كانت الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على إطعام الطعام ويتعهدون الأرامل والفقراء فهذا سيدنا عمر رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين كان يستقي الماء للأرامل بالليل فرآه طلحة رضي الله عنه يدخل بيت امرأة ، فدخل طلحة على المرأة نهارا فإذا هي امرأة عمياء مقعدة فقال لها : ماذا كان يصنع عندك ؟ قالت : إنه منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة رضي الله عنه ثكلتك أمك يا طلحة! أعورات عمر تتبع!؟ هذه بعض صفات الأخيار وتوجد صفات أخرى كثيرة!

• فماذا عن صفات غير الأخيار ؟ لاشك أن عدم إخراج الزكاة أول عنوان لهم لذلك فقد بين الله مصيرهم فى الآخرة بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) .

• فالذين يكنزون المال تراهم يستخدمون كل الوسائل ليكونوا أغنياء ، فقد يتعاملون بالنفاق وغيره لذلك يصف ربنا أفعال المنافقين فيقول تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) فالمنافقون أشد عذابا من الكفار يوم القيامة يقول تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) لماذا ؟ لأنهم لعبوا في الدنيا على الحبلين فخدعوا المسلمين وغيرهم ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ) .

• ويتعاملون بالغيبة قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟) قالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قالَ : (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) .

• وبشهادة الزور لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟) قالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قالَ : (الشِرْكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ) وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقالَ : (أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِألاَ وَقَوْلُ الزُّور) فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكًا بِاللَّهِ) ثم تلا : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) .

• ويمشون بالنميمة فلقد مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقالَ : (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ!!!أَمَّا أحدهما فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَأَمَّا الآخر فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ) سبحان الله لقد أباح الله الكذب فى الإصلاح بين المتخاصمين إلا أن بعض الناس يثيرون الفتنة بين الناس وإذا زجرتهم قالوا لك : لم نتهم أحدا بل سمعنا... وما دروا أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)

• ويجهرون بالمعصية ويقول رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ) .

ألا أدلكم على ما هو شر من ذلك كله ؟ هو من اتقاه الناس لشره

• قالَتْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ : (ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ...) فَلَمَّا دَخَلَ الآنَ لَهُ الْكَلاَمَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلاَمَ قالَ : (يَاعَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا ؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ) قالَ بعض العلماء : فِي هَذَا الْحَدِيث دليل على جَوَاز غِيبَة الْفَاسِق والظالم ليحذره الناس فيجوز مُدَارَاة من اِتِّقَاء الناس لشَرّه مَا لَمْ يُؤَدِّ ذَلِكَ إِلَى الْمُدَاهَنَة! فاحذر أخى المسلم أن تمتدح إنسانا لايستحق المدح! .

• وقد اعتبر الله مداراة السفهاء من صفات عباد الرحمن فقال تعالى : (وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا) ويقول تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ)

• فليحذر كل مؤمن من مجالس الغيبة وليتذكر قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) ويقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) .

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)